تقول ساكت القوم اى قت بعد ابطا فعلى هذا كاد علمى اصلها وليست صلة وقال ابن عباس معناه لا يجيزه وقيل
معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه ليغلى فى جوفه عن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ويسقى من
ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا دنى منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع
امعاءه حتى يخرج من دبره قال وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل
يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله وقعت فروة
راسه اى جلدة راسه شبهها بالفروة للشعر الذى عليها قوله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان يعنى
ان الكافر يجد الم الموت وشدته من كل مكان من اعضائه وقال ابراهيم التيمى حتى من تحت كل شعرة من
جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وشماله وما هو بميت
فيستريح قال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها فى جوفه
فتنفعه الحياة قوله ومن ورائه يعنى امامه عذاب غليظ اى شديد وقيل هو الخلود فى النار قوله عز وجل
مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف هذا كلام مستانف منقطع عما قبله
هو مبتدا محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما نقص او فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة
التى فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد وجملة مستانفة على تقدير سوال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم
كرماد وقال المفسرون والفرا مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد فحذف المضاف اعتمادا على ما ذكره بعد
المضاف اليه وقيل يحتمل ان يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه
مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو ما يسقط من الحطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت عليه
الريح يعنى فنسفته وطيرته ولم يبق منه شى فى يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة
الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد ويوم حار وليلة ماطرة لان المطر والبرد والحر يوجد فيه
وقيل معناه فى يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله لاعمال الكفار
الذين لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو ان الريح العاصف يطير الرماد
وتذهب به وتفرق اجزاءه بحيث لا يبقى منه وكذلك اعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم
وشركهم حتى لا يبقى منها شى ثم اختلفوا فى هذه الاعمال ما هى فقيل هى ما عملوه من اعمال الخير فى حال الكفر
كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير واقراء الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من اعمال البر والصلاح
فهذه الاعمال وان كانت اعمال بر لكنها لا ينتفع بها صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره احبطها
وابطلها كلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم للاصنام الذين ظنوا انها تنفعهم فبطلت وخسرت وخبطت
ولم تنفعهم البتة ووجه خسرانهم انهم اتعبوا ابدانهم فى الدهر الطويل لكى ينتفعوا بها فصارت وبالا عليهم
وقيل اراد بالاعمال الاعمال التى عملوها فى الدنيا واشركوا فيها غير الله فانها لا تنفعهم لانها صارت
كالرماد الذى ذرته الريح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله تعالى لا يقدرون مما كسبوا يعنى فى الدنيا
من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يجدون ثواب اعمالهم فى الاخرة على شىء ذلك هو الضلال البعيد يعنى
ذلك الذى كانوا عليه المشركون فى الخسران المبين لان اعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها والبعيد هنا الذى لا يرجى
عوده الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق يعنى لم يخلقهما عبثا ولا باطلا وانما خلقهما لامر عظيم
وغرض صحيح ان يشا يذهبكم يعنى ايها الناس ويات بخلق جديد يعنى سواكم اطوع منكم والمعنى الذى قدر على
خلق السموات والارض فانه يقدر على فنا قوم واماتتهم وايجاد خلق اخر سواهم كان الاولى لانه القادر

لا يبيب

لا يبيب عليه شيء قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد اميتكم يا معشر الكفار واخلق قوما غيركم خيرا منكم واطوع
وما ذلك على الله بعزيز يعنى بممتنع لان الاشيا كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت قوله عز وجل وبرزوا لله
جميعا يعنى وخرجوا من قبورهم الى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر اعمالهم والبراز الفضاء وبرز حصل فى البراز
وذلك ان يظهر بذاته كله والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا الى الفضاء وورد بلفظ الماضى وان كان
معناه الاستقبال لان كل ما اخبر عنه فهو حق وصدق وكائن لا محالة فصار كانه قد حصل ودخل فى الوجود
فقال الضعفاء يعنى الاتباع للذين استكبروا وهم القادة والرؤسا انا كنا لكم تبعا يعنى فى الدين والاعتقاد
فهل انتم يعنى فى هذا اليوم مغنون عنا يعنى دافعون عنا من عذاب الله من شيء من هنا للتبعيض والمعنى هل تقدرون
على ان تدفعوا عنا بعض العذاب الذى حل بنا قالوا يعنى الرؤسا والقادة والمتبوعين للتابعين لو
هدانا الله لهديناكم يعنى لو ارشدنا الله لارشدناكم ودعوناكم للهدى ولكن لما اضلنا دعوناكم الى الضلالة
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يعنى مستو بان علينا الجزع والصبر والجزع ابلغ من الحزن لانه يصرف الانسان
عما هو بصدده ويقطعه عنه ما لنا من محيص يعنى من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل
يقولون فى النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون
خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال محمد
ابن كعب القرظى ان اهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال تعالى وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة
عليهم ادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك
سألوا الموت ثمانين سنة فلا يجيبهم والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم
يجيبهم بقوله انكم ماكثون فلما يئسوا مما عنده قال بعضهم لبعض تعالوا فلنصبر كما صبر اهل الطاعة
لعل ذلك ينفعنا فصبروا فطال صبرهم فلم ينفعهم فجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص وقال الشيطان يعنى ابليس لما قضى الامر يعنى فرغ منه وادخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار فى لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر فى النار
فيجتمع اليه اهل النار يلومونه فيقول لهم ما اخبر الله بقوله ان الله وعدكم وعد الحق فيه اضمار تقديره
فصدق فى وعده ووعدتكم فاخلفتكم يعنى الوعد وقيل يقول لهم انى قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا
نار وما كان لى عليكم من سلطان يعنى من ولاية وقهر وقيل لم اتكم بحجة فيما وعدتكم به الا ان دعوتكم هذا
استثنا منقطع معناه لكن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم يعنى ما كان منى الا الدعا
والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم ان لا تلتفتوا الى ولا تسمعوا قولى
فلما رجحتم قولى على الدلايل الظاهرة كان اللوم بكم باجابتى ومتابعتى من غير حجة ولا دليل ما انا بمصرخكم
يعنى بمغيثكم ولا منقذكم وما انتم بمصرخى يعنى بمغيثى ولا منقذى مما انا فيه انى كفرت بما اشركتمون
من قبل يعنى كفرت بجعلكم اياى شريكا له فى عبادته وتبرات من ذلك ان الظالمين لهم عذاب اليم وروى البغوى
بسنده عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة وذكر الحديث الى قوله فيأتونى
فياذن الله لى ان اقوم فيثور من مجلسى من اطيب ريح شمها احد حتى اتى ربى فيشفعنى ويجعل لى نورا من
شعر راسى الى ظفر قدمى ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم قم انت فاشفع لنا فانك
انت اضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه انتن ريح شمها احد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم

Copyright © King Saud University